محمد حسين هيكل
والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢

نجاح عطية

طغت الدعوة إلى القومية المصرية وخلق أدب قومي مصري على كتابات محمد حسين هيكل خلال العقدين الأول والثاني من هذا القرن. وقد ساعده على نشرها إسهامه في تحرير جريدة الجريدة (١٩٠٨ ـ ١٩١٥) ورئاسته لتحرير صحيفة السياسة والسياسة الأسبوعية (١٩٢٢ ـ ١٩٣٦). على أن هذه الفكرة لم تولد مع هيكل بل هيأت لنموها ظروف سياسية واجتماعية ترجع إلى عهد رفاعة الطهطاوي بالرغم من أنها لم تكن انذاك أكثر من مجرد تعبير عن الإحساس بالوطنية.

واشتد هذا الإحساس وقوي مع الجيل التالي. جيل العرابيين، فأصبح تمييزاً لما هو مصري إزاء ما هو أجنبي. وإذا اعتبرنا هذه النزعة، أي النزعة نحو القومية المصرية، ذات شقين: سياسي وفكري، فإنه في زمن العرابيين طغى الشق السياسي فتمخضت عنه الثورة العرابية. وذلك على عكس ما حصل زمن الجيل اللاحق ـ جيل محمد عبده وتلاميذه الذين عملوا على نشر النزعة المصرية فكرياً حتى بلغت قمة نضوجها في العشرينات من القرن الحالي مع هيكل وغيره من تلاميذ جريدة الجريدة وكتاب السياسة والسياسة الأسبوعية.

لهذا كان لا بد، في هذا البحث، من تتبع نمو الفكرة القومية المصرية في مراحلها المختلفة مع ذكر أبرز الشخصيات التي عُنيت بها، ولو بشكل موجز. لذلك آثرنا البدء بجيل رفاعة الطهطاوي وتلاميذه، ثم جمال الدين الأفغاني وتلاميذه أو جيل العرابيين، ثم محمد عبده وتلاميذه. وبعد ذلك تحدثنا عن نشأة الأحزاب المصرية مع التركيز على حزب الأمة وطبقة الأعيان التي كانت وراء نشوئه، باعتباره أشد الأحزاب مناصرة للفكرة القومية، كما أفردنا قسماً للتحدث عن أحمد لطفي السيّد وجريدة «الجريدة» الناطقة بلسان حزب الأمة والتي تبنت الدعوة للقومية المصرية والجامعة المصرية.

أما حديثنا عن هيكل فقد قسمناه إلى فصول ثلاثة: الأول يتعلق بحياته، والثاني بفكره، والثالث بكتاباته في جريدة «الجريدة»، وفي جريدة «السياسة» وصحيفة السياسة الأسبوعية. ورأينا أن نقف بالبحث عند مطلع الثلاثينيات لأنه منذ ذاك الحين اتجه هيكل إلى كتاباته الإسلامية مغيراً أسس دعوته من ربط مصر بالماضي الفرعوني إلى ربط مصر بالعصر الإسلامي. غير أنه مع ذاك، لم يغيّر اتجاهه القومي المصري إذ لم يكن في أي وقت من الأوقات من مناصري الجامعة الإسلامية أو القومية العربية.

اعتمدت في هذا البحث على كتبه الصادرة حتى بداية الثلاثينيات: **زينب** (١٩١٤) **وفي أوقات الفراغ** (١٩٢٥) **وتراجم مصرية وغربية** (١٩٢٩) **وولدي** (١٩٣١) **وثورة الأدب** (١٩٣٣) وأكثرها نشر في «السياسة» و«السياسة» الأسبوعية.

كما اعتمدت على مذكراته التي أصدرها عام ١٩٥١ من ثلاثة أجزاء. وقد عكفت على قراءة ما عثرت عليه من مقالاته في النسخة الناقصة من جريدة «الجريدة» التي تحويها مكتبة الجامعة، كما قرأت مقالاته في السياسة الأسبوعية (١٩٢٦ - ١٩٣٠).

أما يوميات باريس، التي لم تزل مخطوطة في حوزة ابنه أحمد هيكل، فلم يتسنّ لي الاطلاع عليها بالرغم من بذل محاولات عدة للاطلاع عليها باءت جميعاً بالإخفاق. ولذا اعتمدت على ما كتبه حسين فوزي النجّار والمستشرق تشارلز سميث عنها. وأما مقالاته الأخرى في «السياسة اليومية» و«السفور» و«الأهرام» فالمتعلق منها بموضوع البحث قليل نسبياً، وقد نشر معظمها في كتبه لاحقاً فعدت إليها في هذه الكتب.

بالنسبة للمراجع المتعلقة بالبحث، فإن الكتب التي تتناول النهضة الفكرية والثقافية في مصر كثيرة متعددة دون أن يكون بينها كتاب متخصص في بحث الدعوة للقومية المصرية، ولذا كان عليّ أن أجمع من متونها المتفرقة ما يفيد هذا البحث.

أما الكتب التي تتناول هيكل وفكره واثاره فتكاد لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، معظمها سرد لأحداث حياته مأخوذ في غالبيته من مذكراته؛ والكتاب المتميز الذي نجد فيه تحليلاً قيّماً هو كتاب تشارلز سميث. لذلك أحسست، أثناء بحثي في كتابات هيكل وتصنيفها واستخراج ما يبرز دعوته للقومية منها، أنني أقدم على عمل جديد بعكس الإحساس الذي تملكني عند كتابة القسم الأول من البحث إذ وجدتني عاجزة عن أن أضيف ما كتب عن محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وأحمد لطفي السيد وغيرهم، فاقتصر العمل هنا على جمع المواد ومحاولة الربط بين ما تفرق منها لتشكيل خلفية لموضوع البحث.